



انسحبت الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران، ثم أصدرت، عبر وزير خارجيتها، مايك بومبيو، تحذيرات شملت 12 قضية، ولو نفذتها إيران لعادت إلى إيران الطبيعية، ولتمت تصفية كل ما يخص النووي والباليستي والسيطرة الإقليمية. تريد أميركا إخراج إيران من سورية وكل المنطقة العربية، وهذا مهم للعرب. مشكلتنا هنا في غياب أي مشروع قومي أو وطني عربي .

إسرائيل وإيران

إسرائيل التي لم تتوقف يوماً عن التنديد بإيران وبسياساتها في المنطقة، وإزاء إسرائيل ذاتها، استفادت من سياسة أميركا الجديدة، وبدأت تضاعف من قصفها الجوي أية قواعد عسكرية إيرانية في سورية، وكذلك أي شحن أسلحة إلى حزب الله. تغطي إسرائيل هذه نفسها عبر تنسيقها التام مع الروس، من أجل القيام بذلك، وقد أخذت ضوءاً أحضر منهم أخيراً. إيران التي نددت أكثر من مرة بالروس، لعدم معاقبتهم إسرائيل، أو لمنعها من القصف في سورية، صمتت أخيراً؛ فهي تحتاج إلى روسيا في معركتها ضد السياسات الأميركيّة، وهناك من ينشر تقارير تفيد بحدوث لقاءاتٍ بين حكوميين إيرانيين وإسرائيليين، بغرض توضيح سياسة إيران في سورية، وأنها لا تستهدف إسرائيل، بل الحفاظ على النظام السوري، والذي ليس عدواً لإسرائيل أيضاً. أي أن إيران تناور بذلك، بعد أن بدأ الخناق يحاصرها دولياً وإقليمياً. وهذا لن يفيد، فإسرائيل لم تعد تقبل سياسات الاستسلام السرية !

الضغط الإسرائيلي والقصف المستمر، سُيُضعف النظام في سورية بالتأكيد، والذي سيكون مع انحسار الوجود الإيراني مدعوماً من روسيا فقط؛ فإيران بدأت فعلياً بتقليص قواتها في سورية، وتفييد التقارير بانسحاب كثير من قواتها من درعا

والقنيطرة، وربما ستشمل الانسحابات كل سوريا. يدعم الفكرة هذه أن الروس لم يستثنوا القوات الإيرانية، حينما أوضحوا رؤيتهم بخصوص تلك القوات، وأنها تشمل الإيرانية والأميركية والتركية. ويتلقي المتنق الروسي هذا مع السياسيين، الأميركيتين والإسرائيلية، في طرد إيران من سوريا، وربما من كل الدول العربية.

أوضحت روسيا أيضاً أنها لن تعيد درعاً إلى سلطة النظام، فهناك اتفاق مع أميركا يضمن خفض التصعيد. وتتضمن هذه الخطوة عدة نقاط، أولًا هي ورقة سياسة روسية تقدمها لأميركا بأن حصتها مضمونة في كل سوريا، وقبالة ذلك هناك تقارير تفيد باحتمال فكفة قاعدة التنف وإعطائهما للروس، وأيضاً ضمانبقاء الأسد في رأس السلطة إلى العام 2021، وربما يتم فتح معبر نصيب، وإبقاء قوات المعارضة بكامل سلاحها في مناطقها. النتيجة هنا، أن روسيا وأميركا تدوران الزوايا، وإيران وحدها المتضرر من ذلك كله.

أوروبا ستتحاز لأميركا

أطلقت إيران التي تجد نفسها محاصرة، على لسان مرشد نظامها، سبعة شروط للبقاء في الاتفاق النووي، وكانت بمثابة تهديدات لأوروبا لكي ترفض السياسة الأميركيّة، وإبقاء السوق الأوروبيّة مفتوحة أمام النفط الإيراني وإبقاء العلاقات الاقتصاديّة. لهجة التهديد والوعيد لن تسمح بعلاقات مستمرة مع أوروبا؛ فالأخيرة أعطيت مهلة تسعين يوماً لإنهاء استثماراتها في إيران، ولتقديم اتفاق نووي بديل، وبعدها ستفرض أميركا عقوبات على أوروبا ذاتها، إذا لم يتحقق مطلبها. طبعاً لا يقارن حجم الاستثمارات بين كل من أوروبا وأميركا بالسوق الإيرانية، وبالتالي لا يمكن لأوروبا مقارنة السوق الإيرانية بالأميركية. إيران التي اعتمدت الطائفية، وتشكيل مليشيات مسلحة، استفادت سابقاً من السياسة الأميركيّة بالانكفاء، وتمدّدت إقليمياً، لكنها الآن تجد نفسها وجهاً لوجه مع أميركا وإسرائيل، وترى أن سياسة التوافق بينهما ضد العرب تکاد تنتهي. إذاً لم يعد أمام إيران إلا سياسة التفجيرات وخلخلة الأمن بشكل واسع، والتسبب بمشكلة إرهاب كبيرة؛ ربما هذه فرصتها الأخيرة. وما يقلص أهمية ذلك التشدد الأميركي والمراقبة الدقيقة وتقلص وجود تنظيمي داعش والقاعدة، والرغبة الروسيّة في الوصول إلى حلٍ في سوريا، أي أنها تريد إنهاء الحرب، وليس السماح بسياسة التفجيرات، والمناورة مع الأميركيّان؛ فالولايات المتحدة واسرائيل تعطيان روسيا الفرصة الأكبر في احتلال سوريا، وهي ستفعل ذلك، وتتضمن مصلحتهما.

لا يؤكد الخطاب الأميركي أهمية سوريا، ولكنه يستخدمها ضمن إطار المفاوضات مع الروس، لرسم مناطق نفوذ عالمية ومحاصرة الصين. لا يرى الأميركيان سوريا مفيدة لهم، ولهذا يؤكدون دور كل من روسيا لفرض احتلالها ودور الاتحاد الأوروبي والخليج لاحقاً في إعادة الإعمار، والتأكيد على الانسحاب لاحقاً. هذا ما يدفع الروس إلىأخذ تحفظات الأميركيان بالاعتبار، والتقيد بها.

السياسة التركية

تقوم الاستراتيجية التركية في سوريا على تمكين المسلمين والحوار مع السلطة، لجعلهم جزءاً منها، ولاحقاً وضعهم على رأس المعارضة، وكذلك مساندتهم في السيطرة على الفصائل العسكرية؛ والآن هم من يتصرّف جرابلس وعفرين والباب، وسيكون الأمر عينه في كلِّ من منبج وإدلب، وطبعاً سيكون لهم حصة في أي تسوية سياسية. تعتمد على إسلاميين خاضعين، وهم لا يخرجون عن طوعها. كانت سياستها العامة هكذا، لكنها أصبحت مسائل متفقاً عليها مع الروس بالتحديد؛ فروسيا "المحتلة" تعطي تركيا تلك المناطق، وتهجر إليها الفصائل، لتسخدمها تركيا في استراتيجية الثانية، والقائمة على منع أي مشروع كردي على حدودها. هذا ما لم تتنازل عنه تركيا مع الروس أو الأميركيان. الخلافات الطويلة بين الدولتين (أميركا

وتركيماً) بخصوص الموقف من حزب الاتحاد الديمقراطي (الكردي)، لم تمنع من استمرار العلاقات بينهما والتنسيق بخصوص سورية، وقد شهد الأكراد "خيانتين" لهم، عبر التخلّي عن عفرين، والآن عن منبج، وربما ستكون المرحلة الثالثة، تسليم الرقة وبلادتها لأهلهما من العرب. تحقق تركيا استراتيجيتها تارة بالعلاقة مع الروس وتارة مع الأميركيان. تمر علاقتها مع إيران بخصوص سورية عبر مصالحها معهما، وعلى كل حال، ستكون مصالح تركيا مضمونة في أية توسيعة بخصوص سورية، وتم سيطرتها على الشمال السوري بالتوافق مع الدولتين المذكورتين .

تؤكد إسرائيل أنها لن تسمح بوجود إيران، ليس في محيط الجولان، بل وفي كل سورية. الأمر نفسه يخص الأميركيان. سيكون الروس والأترار سعداء بالخلص من إيران في سورية؛ فإيران تنافس الدولتين فيها، وتعتقد أنها من أنقذ النظام من سقوطه، مشكلتها الأكبر أنها دعمت النظام بمليارات الدولارات، وعادت شعبها وعادها، بسبب ذلك، وتكرر الاحتجاجات الشعبية فيها أن شعب إيران جائع، بسبب دعمها النظام السوري، وبالتالي سيكون الانسحاب من سورية بمثابة كارثة، وبسبباً إضافياً للتمرد، ولهذا ستناور طويلاً للحصول على عائدات مالية مجزية للانسحاب المطلوب .

سياسة الخليج المتضاربة

سياسات الخليج متضاربة إزاء سورية بسبب الخلاف الخليجي، وإذا كانت قطر معنية بسوريا بعد مرحلة الاستقرار، وبسياق الدول التي تستدعي الإعمار، فإن بقية دول الخليج تحاول الدخول إلى الرقة من زاوية الأميركيان لإزعاج تركيا وقطر، وهذا لن يحقق لهم شيئاً، فمناطق شرق سورية لن تبدأ فيها عملية إعادة الإعمار من أميركا إلا بالتنسيق مع الروس، وبعد الانتهاء من الحرب كلية والبدء بالتوسيع، أي أنهم يعزّزون الانشقاق الخليجي، بدلاً من التوافق مع قطر، ورسم استراتيجية خليجية لكل القضايا الحساسة في المنطقة، كال موقف مما يحدث في العراق واليمن وسوريا وإيران وإسرائيل .

أخيراً سُلّمت منبج للأترار، وظلت درعاً ضمن اتفاقية خفض التصعيد، وترجعت إيران وحلفاؤها عن محيط الجولان والحدود مع درعاً، وتقدمت تركيا باتجاه جسر الشغور، ووضعت نقاطاً جديدة لبسط سيطرتها، ولم تتراجع الولايات المتحدة عن المناطق التي في حوزتها باستثناء منبج، وقد تعطي الرقة ومحيطها إلى أهلهما. المهم في ذلك كله أن هنا مناطق النفوذ تُرسم، ويتم إيقاف الحرب بينهما، وهذا يتم بتدخل أميركي مباشر، كما تمّ بين العرب والكرد في الرقة أخيراً، وكذلك من الروس لفرض نفوذهما في المنطقة الجنوبية من دمشق. ويضبط الأترار دورهم الفضائل الموجودة في مناطقهم، وسيكون لها الدور الأساسي في تصفيية بقايا جبهة النصرة وـ"القاعدة" والجهاديين في إدلب، وفرض سيطرتها عليها. وتؤكد التفاقيات السياسية بخصوص سورية الخطة الروسية، فهناك اجتماعات ستعقد برئاسة المبعوث الأممي، استيفان دي ميستورا وتختص اللجنة الدستورية، والتي ستناقش قضية أي دستور سيكون لسوريا مستقبلاً، وهناك قضية الانتخابات، وربما ستطرح قضية المعتقلين، وإنْ ستكون من الأوراق الأخيرة في النقاش بشأن سورية؛ حيث ستكون ضمن أوراق التسوية النهائية والتصفية النهائية لكل من سيرفض التسوية، والتي ستكون باتفاق الأميركي روسي، وهو ما سيعطيها شرعية وغطاءً .

الدول ترسم السياسات

السياسات الدولية أعلاه ترسم سياسة النظام والمعارضة والفصائل. إنها تضغط عليهم للخضوع الكامل، وهذا تمّ عبر سنوات الحرب، ولاحقاً سيتصاعد، فليس من المسموح به إشعال حروب مستقلة ووطنية، أو لصالح دول إقليمية مستقبلاً! ولهذا، نجد أن الروس يستدعون رأس النظام إلى سوتشي، ويتابع الأترار تنسيق علاقاتهم مع الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية والإخوان المسلمين وضبط تحركات الفصائل وخلافاتها في مناطق سيطرتها والتنسيق فيما بينهم من أجل تعلم السياسة والإدارة وشن الحروب بالتنسيق الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مثلاً. ستكون الحروب

المستقبلية خاضعة بالكامل لسياسات الدول المسيطرة على سوريا، سواء التي سيقوم بها النظام أو الفصائل. إشكالية السوريين تكمن في غياب مشروع وطني، أو توافقات سورية سورية، تسمح لهم برفض السياسات الدولية. تتعلق مشكلتنا الأساسية بالنظام الذي يرفض كل توافق سوري سوري، وبالتالي ستحقق السياسات الدولية في سوريا ما تريد بالضبط عبر الاحتلال! وهذا سيتحقق بسبب غياب المشروع الوطني، وغيابه قضية متعلقة بما جرى من دمار وقتل وتهجير ورسم نفوذ؛ وبالتالي كانت نتيجة ذلك كله تعقد الشروط الموضوعية المانعة لوجوده. ليس النظام، كما سبقت الإشارة، معنياً إلا بأوهام أنه انتصر، ومنها أنه لن يُضحي فيه ولن تتم محاكمته، وهذا سيتم لاحقاً وضمن خطة روسية أميركية، ومن أجل تأمين الاستقرار. والمعارضة التي أصبحت معارضات، وتابعة، وتحكم بأغلبيتها قوىًّا سياسية انتهازية وتابعة، أو شخصيات ضعيفة التأثير. وسوريا هذه لا تسمح بتشكيل مشروع وطني، على الرغم من ضرورة ذلك، للتخفيف من شدة التدخل الخارجي، والذي أصبح بمثابة احتلال كامل، فهو جيوش على الأرض، و مليشيات محلية تابعة بشكل كامل له، وستعمل على إعادة الإعمار، أي النهب لاحقاً. ويتم ذلك بالتنسيق بين تلك الدول، وبشكل رئيسي بين كل من روسيا وأميركا وتركيا وإسرائيل .

أسئلة للسوريين

هل سيتمكن السوريون من إنشاء دولتهم المستقلة مستقبلاً؟ ما جاء أعلاه ينفي ذلك، ويؤكد أن سوريا ستكون محظوظة... هل ستندلع حرب وطنية ضد الاحتلالات؟ أيضاً هذا يتطلب مشتركات سورية سورية، وهي لم تظهر بعد، وهناك انقسامات طائفية وقومية ومناطقية وعشائرية، أي ليس هناك مشروع وطني جامع بعد. سوريا هذه تتطلب زمناً إضافياً، لترى بأم العين نتائج الاحتلالات، ولتخلاص من أوهام أن النظام يدافع عن كتلةٍ من الشعب، والمعارضة والفصائل، ومنهم الكردية تدافع عن كتلة أخرى. حينما تبدأ مؤشرات الفهم الدقيق لدور النظام والفصائل، وأنّها مجرد أدوات محلية لتمكين الاحتلالات، ولفائدة الفئوية، وتحديداً قياداتها، حينها فقط سيكون هناك إمكانية أولية لتشكيل مشروع وطني .

نعم، الآن تهيئ السياسات الدولية الأرض السورية للاحتجالات، وتصفية أية محاولات لرفض ذلك .
تتطلب سورية مشروعها وطنياً، يتبنى إنشاء دولة للجميع، دولة لا تمثل الطوائف، ولا الدول الخارجية، وتمثل فقط مصلحة كل السوريين، بكل قومياتهم وطوائفهم وقبائلهم. ولكن وفق مبدأ المواطنة وحقوق الإنسان، وباعتبارهم شعباً واحداً، وفيه خصوصيات قومية.

المصادر:

العربي الجديد